## فتح بلاد القرم في ١٤٧٥/٦/١

إن إمارة القرم، هي أهم الدول التي ظهرت على أثر تجزئة أوربا الشرقية التركية. وقد لعبت القرم أهم دور سياسي بين هذه الدول التي انحدرت من السلالات الملكية التي تأتي على رأسها سلالة جوجي أوسلو من نسل أولاد جنكيز خان الرابع وهو جوجي خان[١].

وقد كانت هذه البلاد مع روسيا الشرقية، وكافة البلاد الواقعة شمال البحر الأسود بحكمها منذ أيام جنكيز خان وأمراء المغول الذين اعتنقوا الدين الإسلامي قبل أن يغزو تيمورلنك المنطقة[٢].

كانت هذه الدولة التي تأسست في شبه جزيرة القرم تشمل بشكل واسع أوكرانيا الحالية، وتمتد نحو قفقاسيا الشمالية ونحو روسيا، كانت توجد على سواحل قرم عدَّة قلاع ـ موانئ جنوية ـ وكانت تجارة البحر الأسود حتى فتح استانبول تقريبًا تحت سيطرة جمهورية جنوة التي انتهزت فرصة ضعف القرم واستولت على ثغورها (أزوش وكفه ومنكب).

وفي العهد العثماني أصبحت جمهورية جنوة في وضع حرج للغاية عند غلق السلطان محمد الفاتح المضايق، وأخذه منطقة غلطة في استانبول من حوزة الجنويين، وبرغم أن جمهورية جنوة من عداد الدول العظمى، إلا أنها اضطرت إلي دفع أجور المرور إلى الدولة العثمانية عند مرورها من المضايق لنقل البضائع

---

(١) أوزتونا (جـ١ ـ ص١٦٩).

(٢) صولاق زادة (ص٢٥٢).

بين أوربا ومستعمراتها في شبه جزيرة القرم، وكان السلطان محمد الفاتح يخلق المصاعب للجنويين بسبب عدم استحسانه علاقة دول أوربية بالبحر الأسود.

وكان السلطان محمد الفاتح قد أرسل أسطولاً إلى القرم في تموز ١٤٥٤م بعد فتح القسطنطينية بعدة أشهر، وأجبر الميناء الجنوي الرئيس في القرم على دفع خراج سنوي.

وكانت القرم كبيرة المساحة، فقد بلغت مساحتها (٢٦٠٠٠ كم٢) تستند بدرجة كبيرة في وجودها على مستعمراتها في الشمال، وكان أكبر أعدائها الإمارة الكبرى لروسيا في الشمال، وبولونيا في الشمال الغربي، وكان في إمكان القرم التي تمتد على أراض واسعة أن تجهز إذا اقتضت الضرورة ٢٠٠ ألف فارس (خيَّال)[١].

وكان هؤلاء الجنود يحاربون على النمط الجنكيزي (جنكيز خان) وكانوا مخيفين رغم أنهم لم يجددوا من أساليبهم التي كانوا عليها في القرون الوسطى، وكانت (باغجة سراي) مدينة ملك القرم تبعد عن موسكو مسافة مستقيمة ١٢٦٠كم، وعن وارسو (١٢٨٠كم)، وعن فينيا (١٢٧٠كم)، لكنها تبعد عن استانبول (٦٠٠كم)، وعن سينوب (٣٣٠كم)، وقد حدث أن تعرضت مصالح الجنويين للمخاطر في بلاد القرم بسبب ذلك النمو المُطَّرِد للدولة العثمانية، وقد عزم السلطان محمد الفاتح على فتح هذه البلاد لسببين هما:

١ ـ طرد الجنويين منها إذ أن بقاء قوة مسيحية فيها سيشكل مصدر تهديد دائم لدولته.

---

(١) بيلماز أوزتونا (جـ١ ـ ص ١٧٠).

(٢) المصدر السابق.

٢ ـ تحويل التجار إلى القسطنطينية؛ لتمويلها بالغلال والحبوب والأخشاب وساعدت الظروف السياسية العثمانيين في السيطرة على بلاد القرم عندما استنجد بهم زعماء المسلمين فيها لمساعدتهم من عسف الخان وهيمنة الجنويين[١].

فعهد السلطان محمد الفاتح إلى الصدر الأعظم أحمد باشا بالقيام بتنفيذ هذه المهمة، وزوَّده بأسطول بحري مؤلف من ثلاثمائة سفينة رسا قبالة ـ كفه ـ في الأول من خريران عام ١٤٧٥، ثم استولى على الميناء والموانى والثغور الأخرى مثل السوداك ومنكب وآزوف. وبذلك يكون العثمانيون قد قضوا نهائيًا على الوجود الجنوي في القرم وأضحت شواطئ هذا المنطقة تابعة للدولة العثمانية، ويُعتبر فتح بلاد القرم من أهم فتوحات السلطان محمد الفاتح بعد القسطنطينية لما كان لهذه البلاد من وفرة الثروة والحصون المنيعة ومن ثم سميت بـ (القسطنطينية الصغرى).

وقد وافق خان القرم على الخضوع للدولة العثمانية ودفع الجزية، ونص الاتفاق بين الطرفين على أن يعين السلطان أميرًا على البلاد يكون من نسل جنكيز خان، ويُذكر اسمه في الخطبة بعد الخليفة والسلطان العثماني كما يسمح بطبع اسمه بعد اسم السلطان على قِطع النقود التي يَسُكُّها الخان (الملك)[٢].

وأسس العثمانيون لواء فن (كفه) لا علاقة له بإمارة القرم[٣]. فاكتسب الحكم العثماني بذلك صفته القطعية في البحر الأسود. ودخل هذا البحر تحت سيادة جيش الدولة العثمانية ومحمد الفاتح.

---

(١) «تاج التواريخ» سعد الدين (جـ١ ـ ص٥٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص٥٥٦، ص٥٥٧).

(٣) أوزتونا (جـ١ ـ ص ١٧١).